مجـــلة

جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

جامعة الملك خالد

للعلوم الإنسانية

دورية علمية نصف سنوية - محكمة

المجلد الثاني عشر- العدد الأول (يونيو 2025)

بسم الله الرحمن الرحيم

عن المجلة:

مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية دورية علمية نصف سنوية، متخصصة في العلوم الإنسانية، محكمة في آلية قبول البحوث القابلة للنشر بها، وتهدف إلى نشر الإنتاج العلمي للباحثين في تخصصات العلوم الإنسانية، وتعنى بالبحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها باللغتين العربية والإنجليزية التي تتسم بالمصداقية واتباع المنهجية العلمية السليمة.

أهداف المجلة:

- الإسهام في إبراز دور الحضارة الإسلامية في إثراء العلوم الإنسانية.
- نشر البحوث العلمية المحكمة في مجال العلوم الإنسانية بفروعها المختلفة.
- الإضافة إلى مركوم المعرفة في الدراسات الإنسانية.
- إبراز جهود الباحثين في الدراسات والبحوث العلمية ذات الصلة بموضوعات الإنسانيات.

هيئة التحرير:

أ.د. عبدالرحمن حسن البارقي	رئيس التحرير
د. جميلة ناصر آل محيا	مديرة التحرير
أ.د. متعب عالي البحيري	عضو هيئة التحرير
أ.د. مفلح زابن القحطاني	عضو هيئة التحرير
أ.د. عبدالحميد سيف الحسامي	عضو هيئة التحرير
د. أحمد علي آل مريع	عضو هيئة التحرير
د. حمساء حبيش الدوسري	عضو هيئة التحرير

قواعد النشر:

1. تقديم البحث إلى المجلة هو التزام وتعهد من الباحث بعدم انتهاك الحقوق الفكرية.
2. نشر البحث في المجلة يتضمن موافقة المؤلف على نقل حقوق النشر للمجلة.
3. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.
4. يجب أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة واتباع المنهجية العلمية، وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
5. أن لا يكون قد سبق نشر البحث، أو قُدم للنشر في مكان آخر.
6. أن لا يكون البحث جزءًا من كتاب منشور أو مستلًا من رسالة علمية.
7. أن لا يزيد عدد كلمات البحث عن عشرة آلاف كلمة بما في ذلك الجداول والملاحق والمراجع.
8. في حالة الأبحاث المشتركة (الجماعية) تُرفق اتفاقية موقعة من الباحثين تتضمن نسبة إسهام كل باحث في العمل المقدم للنشر بالمجلة.
9. يلتزم الباحث بتقديم ما يفيد بمصدر تمويل الأبحاث في حالة وجود دعم لتلك الأبحاث.
10. أن يحتوي البحث على عنوان باللغتين العربية والإنجليزية، وعلى ملخصين باللغتين في حدود (250) كلمة لكل ملخص، ويتضمن الملخصان الهدف، والمشكلة، والمنهج، وأهم النتائج، والكلمات المفتاحية.
11. دفع رسوم التحكيم والنشر في المجلة بمقدار ألفي ريال.
12. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة للباحث/ين في صفحة مستقلة.
13. إرفاق شهادة تدقيق لغوي للأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
14. استخدام نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) في التوثيق داخل النص وفي كتابة المراجع.
15. رومنة المصادر والمراجع العربية بعد كتابتها بالعربية مباشرة، وقبل الانتقال إلى المصادر والمراجع بلغة أجنبية.
16. تكتب البحوث العربية بخط Traditional Arabic حجم 16 للمتن، و 12 للهوامش.
17. تكتب البحوث الإنجليزية بخط Times New Roman حجم 12 للمتن، وحجم 10 للهوامش.
18. المسافة بين الأسطر.(1.0)

19. يوضع عنوان البحث وصفة الباحث في صفحة مستقلة على النحو الآتي: العنوان بالعربية بمقاس 20، واسم الباحث مقاس 18، وصفته مقاس 14، وباللغة الإنجليزية العنوان مقاس 16، واسم الباحث مقاس 14، وصفته مقاس 12.
20. تُراعى الشروط الفنية لنوع الخط وحجمه في الأبحاث التي تتضمن اللغتين العربية والإنجليزية.
21. على الباحث الالتزام بالتعليمات الفنية، والتدقيق اللغوي قبل إرسال بحثه إلى المجلة.

يُقدَّم البحث من خلال نظام التحرير للمجلات العلمية بجامعة الملك خالد على موقع المجلة أو موقع وحدة المجلات والجمعيات العلمية بجامعة الملك خالد.

الترقيم الدولي: ISSN: 1685-6727

أبحاث العدد:

م	البحث	الصفحة
1	استعارات "جبل طويق" وانشطار الدلالة المتوازية دراسة لسانية دلالية في خطابات الأمير محمد بن سلمان **د. مستورة مسفر العرابي**	1-28
2	الإرشاد السياحي ودوره في تنمية القدرة التنافسية للوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية **د. هيفاء بنت حمود بن صالح الشمري**	29-60
3	التسويق الإعلامي للتراث الثقافي "القهوة السعودية أنموذجا **د. محمد بن جبريل الزيلعي**	61-95
4	تداوليات الخطاب الساخر واستراتيجياته الحجاجية **د. خالد بن سعيد أبوحكمة**	96-127
5	المُعَرَّبَاتُ الفَارِسِيَّةُ المُتَعَلِقَةُ بِالمَلَابِس وَالثِيَابِ بَينَ المُخَصَّصِ وَالمُعجَمِ العَرَبِيِّ لِأسمَاءِ المَلَابِس، دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ **د. منى بنت محمد بن عبد الرحمن الشمراني**	128-156
6	بين سياق النص وسياق الحدث: تحليل الخطاب في نونية خليل مطران في مدح الملك عبد العزيز **أ.د. مصطفى محمد تقي الله بن مايابا**	157-186
7	تقييم الملاءمة المكانية للمناطق الاستثمارية في منطقة السودة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية **د. سلمى عبد الله حسن الغرابي**	187-225

م	البحث	الصفحة
8	خصائص المسكن والرضا عنه في أبها الحضرية **د. عبد الله بن معيض مصحوب آل كاسي القحطاني**	226- 274
9	رأي في الدلالة الزمنية لاسم الفاعل المعلقات السبع نموذجا **د. فرح بن أحمد المالكي**	275- 310
10	معوقات القياس في علم الاجتماع وسُبل التعامل معها **أ.د. عبد العزيز بن حمود الشثري**	311- 336
11	ظاهرة الألم في ديوان "طيور تشكو من الريح" لمحمد الحسون (دراسة وصفية تحليلية) **أ. د. عبد الرحمن بن أحمد السبت**	337- 372
12	نمذجة إمكانيات البيئة الطبيعية للسياحة في منطقة المدينة المنورة باستخدام التقنيات الجيومكانية الحديثة **د. أمينة عطا الله عبد ربه الرحيلي**	373- 398
13	القرى التراثيّة في مدينة أبها ومراكزها الإداريّة ودورها في التنمية السياحيّة. **أ. فاطمة مبارك محمد عسيري . د. سعد جبران هادي القحطاني**	399- 441
14	الغرائبية في كتاب البخلاء للجاحظ. **د. نايف عبد العزيز بن قليل الحارثي**	442- 470
15	دور العمل التطوعي في تعزيز هوية طالبات التعليم العالي "جامعة طيبة نموذجا" **د. ندا عبد الله اليأس**	471- 508

بين سياق النص وسياق الحدث: تحليل الخطاب في نونية خليل مطران في مدح الملك عبد العزيز[1]

أ.د. مصطفى محمد تقي الله بن مايابا

أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية

د.لبنى محمد إبراهيم الشنقيطي

أستاذ مشارك، قسم المواد العامة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية

Between the Context of the Text and the Context of the Event: Analysis of Discourse in Khalīl Muṭrān's Nūnīya in Praise of King Abdulaziz[2]

Mustafa Muhammad T. BinMayaba

Professor, Department of Arabic Language and Literature, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

Lubna Mohammed I. Alshanquitiy

Associate Professor, Department of General Courses, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

[1] تم تمويل هذا المشروع من قبل عمادة البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، المملكة العربية السعودية، بموجب منحة رقم (G: 491-125-1443).

[2] The Deanship of Scientific Research (DSR) at King Abdulaziz University (KAU), Jeddah, Saudi Arabia has funded this Project under grant no (G: 491-125-1443).

المستخلص:

يتناول البحث تحليل الخطاب في قصيدة مدح حديثة تنتمي لشعر المناسبات مع التركيز على العلاقة بين سياق النص وسياق الحدث. ويسلط البحث الضوء على قصيدة "عيد تجدد فيه مجد عدنان" للشاعر اللبناني خليل مطران، والتي أُلقيت في قصر عابدين بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز آل سعود للملك فاروق في عام 1946م، وعبّر فيها الشاعر عن تقديره الكبير لشخصية الملك عبد العزيز وجهوده في خدمة بلده، خاصة، وخدمة العرب وقضاياهم، بشكل عام. ويعتمد البحث على منهج تحليلي يستكشف بنية القصيدة وأسلوب مطران في دمج العناصر التقليدية مع المعاني الحديثة. وتكشف النتائج عن تأثير السياق على بنية القصيدة ومضمونها، وعلى العلاقة بين الشاعر والممدوح؛ حيث استخدم مطران استراتيجيات لغوية وبلاغية متميزة في مدح الملك عبد العزيز بأسلوب يبرز قيم الفخر والاعتزاز بإنجازات الممدوح التاريخية. ويوصي البحث بضرورة دراسة تأثير السياقات الثقافية على قصيدة المدح العربية الحديثة، وتحليل تطور بنية قصائد المدح ومضمونها في السياقات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب، الممارسة الخطابية، لسانيات النص، السياق، الملك عبد العزيز، اللغة الشعرية

Abstract:

This research analyzes the discourse in a modern poem of praise, belonging to the genre of occasion poetry, with a particular focus on the relationship between the text's context and the event's context. The study highlights the poem "A Holiday in Which Adnan's Glory Was Renewed" by the Lebanese poet Khalil Mutran, recited at Abdeen Palace during King Abdulaziz Al Saud's visit to King Farouk in 1946. In this poem, the poet expresses deep appreciation for King Abdulaziz's character and his efforts in serving his country and addressing Arab issues more broadly. The research employs an analytical approach to explore the poem's structure and Mutran's stylistic integration of traditional elements with modern meanings. The findings reveal the significant impact of context on both the poem's structure and content, as well as on the relationship between the poet and the subject of praise. Mutran utilizes distinctive linguistic and rhetorical strategies to commend King Abdulaziz, emphasizing values of pride and honor associated with the historical achievements of the praised. The study recommends further investigation into the influence of cultural contexts on modern Arabic poetry of praise and encourages an analysis of the evolution of the structure and content of such poems in contemporary contexts.

keywords

Discourse, Discursive Practice, Text Linguistics, Context, King Abdulaziz, Poetic Language.

المقدمة:

ألّف الشاعر اللبناني خليل مطران (ت. 1949م) عددًا من قصائد المدح (panegyric odes) للحكام العرب، محاكيًا في شكلها ولغتها قصيدة المدح التقليدية، ومعبرًا عن معانٍ معاصرة تعكس توجهاته القومية نحو وحدة الشعوب العربية. وأظهر في مدائحه ولاءً وتقديرًا للملوك والأمراء العرب، ورأى فيهم رموزًا للأمل والتغيير. وقد أدى مطران دور شاعر البلاط العربي، معبرًا عن مكانة الحكام في عيون شعوبهم، كقوله في مدح الملك فاروق الأول (ت. 1965م):

حبّك الشعبَ ضاعف الحبَّ في الـ شعب ولولا الإجلال كان غراما

(مطران، 1949م، 4: 306)

وتنوع شعر مطران في الحكام العرب بين الرثاء، كبائيته في رثاء الملك حسين بن علي الهاشمي (ت. 1931م) (نفسه، 4: 92)، والرائية في رثاء ملك العراق فيصل الأول بن الحسين الهاشمي (ت. 1933م) (نفسه، 4: 171)، والتهنئة بتولي السلطة، كتهنئة الملك فاروق بتوليه السلطة سنة 1936م (نفسه، 4: 221)، والتهنئة بالمولود الجديد، كتهنئة الملك فاروق بمولد ابنته الأميرة فريال سنة 1938م (نفسه، 4: 300)، والتهنئة بالشفاء، كتهنئته للأمير كمال الدين حسين بن السلطان حسين كامل (ت. 1932م) بعد بتر ساقه (نفسه، 4: 67)، والاحتفاء بالزيارة، كاحتفائه بزيارة ملك العراق فيصل الثاني لمصر سنة 1942م (نفسه، 4: 153). ويحاول مطران في مدائحه أن يراعي طبيعة التغيرات الثقافية التي مرت بها الأقطار العربية في مطلع القرن العشرين؛ حيث تفوق الانتماء القومي العربي على أشكال الانتماء الأخرى.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في رصد لغة خليل مطران وأسلوبه في تصوير شخصية الملك عبد العزيز آل سعود (ت. 1953م) في قصيدته "عيد تجدد فيه مجد عدنان" التي ألقاها عام 1946م في حفل للاحتفاء بزيارة الملك عبد العزيز للملك المصري فاروق (ت. 1965م). وترصد تأثير استراتيجية الشاعر في مدح الملك عبد العزيز (المتلقي المباشر) بحضور الملك فاروق (المتلقي غير المباشر) على بنية القصيدة ولغتها ومضمونها. وتتجلى هذه المشكلة في عدة أسئلة، أهمها:

- كيف يعكس الخطاب في النص الشعري الهوية العربية، وما الاستراتيجيات اللغوية والبلاغية التي استخدمها الشاعر لتمثيل هذه الهوية؟

- ما دور السياقات الثقافية والاجتماعية في تشكيل الخطابات التي يحملها النص، وكيف تفاعل الشاعر مع هذه السياقات في قصيدته؟
- كيف تؤثر رغبة الشاعر (المرسل) في مدح الملك عبد العزيز (المتلقي المباشر) بحضور الملك فاروق (المتلقي غير المباشر) على بنية القصيدة (الرسالة) ولغتها ومضمونها؟
- كيف تطورت العلاقة بين الشاعر والممدوح في قصيدة المدح العربية الحديثة؟

وتسعى الدراسة للإجابة عن هذه الأسئلة لفهم الديناميات المعقدة بين نص مطران الشعري والسياق التاريخي الذي ألفت فيه القصيدة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة نموذج للتغيرات في شكل قصائد المدح الحديثة ومضمونها كما يسعى البحث إلى استكشاف العناصر التقليدية والحديثة في نونية مطران، وفهم دورها في مدح الملك عبد العزيز. ومن خلال تحليل الخطاب في نونية مطران يسعى البحث إلى إبراز كيفية استخدام لغة الشعر في التعبير عن الانتماء القومي وتأييد القادة العرب في تلك المرحلة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في استكشاف العلاقة المعقدة بين الشعر والسياق من خلال تحليل الخطاب في نونية مطران؛ حيث تسلط الضوء على وظيفة قصائد المدح، والديناميكيات الاجتماعية والثقافية التي تعكسها، وتأثيرها على الهوية الثقافية في السياق العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين. ومن خلال هذا التحليل تفتح الدراسة آفاقًا جديدة لدراسة الأدب العربي في سياق التحولات الثقافية والاجتماعية؛ مما يعزز من أهمية هذا البحث في مجال تحليل الخطاب.

منهج البحث:

يعتمد البحث على منهج تحليلي لغوي وبلاغي يستند إلى رؤية فان دايك في تحليل الخطاب؛ حيث يؤكد أن دراسة الخطاب يجب أن تتجاوز الخصائص البنيوية للنص أو الحديث، لتشمل أيضًا تحليلًا منهجيًا للسياق وعلاقاته بالهياكل الخطابية (van Dijk,1997, 114). كما يتضمن البحث تحليلًا سياقيًا يكشف عن الأبعاد المتعلقة ببنية اللغة ومحتواها واستخداماتها في قصيدة مطران. ويتألف البحث من مهاد تاريخي

موجز بعنوان "**سياق الحدث**"، يسلط الضوء على السياق التاريخي الذي أُلقيت فيه القصيدة. يليه تحليل "**البنية الخطابية للنص**"، يتناول أقسام القصيدة الأربعة: مقدمة تتعلق بالعلاقة بين الممدوحَين، ومدح الملك فاروق، ومدح الملك عبد العزيز، وأخيرًا تحية للقادة العرب. وختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات.

سياق الحدث:

تتطلب دراسة الخطاب في قصيدة "عيد تجدد فيه مجد عدنان" فهمًا عميقًا للسياق التاريخي والاجتماعي الذي أُنتِجت فيه. ويؤكد فان دايك أن الخطاب يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياق المحيط ويتأثر به (van Dijk, 1997, 32). كما يؤكد نورمان فيركلف أهمية التلازم بين النص والسياق في تحليل الخطاب من خلال ثلاثة أبعاد: النص، والممارسة الخطابية، والممارسة الاجتماعية الثقافية. وتربط الممارسة الخطابية بين التحليل النصي والاجتماعي؛ مما يساعد في فهم تفاعل النص والسياق (van Dijk, 1997, 32). ويحدد هايمز دور السياق في فهم النص أنه: "يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود"(براون وبول، 1997، 47). ومن ثَمَّ، يُعتبر الشعر، وخاصة قصائد المدح، انعكاسًا للواقع الذي يعيشه الشاعر.

تتداخل عناصر الخطاب الشعري في قصيدة مطران مع سياق تاريخي يرتبط بتحرر عدد من البلدان العربية من الاستعمار الأوروبي، وتأسيس جامعة الدول العربية. ويشكل هذا السياق الخلفية التي يستند إليها الشاعر في بناء خطاب مدحي يتوافق مع طبيعة الجمهور المتلقي. ويتجاوز هذا الخطاب الأبعاد الفردية السائدة في قصائد المدح القديمة ليعكس تطلعات المجتمعات العربية بشكل أوسع. وفي هذا السياق، يشير فان دايك إلى أن فعالية خطاب ما في تأثيره على مجموعة معينة تتحدد بنوعية الخطاب، وكذلك بنوعية المجموعة المتلقية والسياق الذي يتم فيه بث الخطاب (عبيدي، 2016، 119). ومن هنا، فإن تحليل الخطاب في النص يستلزم دراسة السياقات التي أثرت على لغة النص وبنيته ومضمونه، وفهم كيفية تفاعل الشاعر مع تلك السياقات من خلال استخدامه للغة، والصور، والاستعارات.

يوظف مطران في نونيته أساليب المدح القديمة ويعيد صياغتها لتناسب متغيرات العصر؛ مما يعكس توجهاته الشعرية التي تجمع بين التجديد والتقليد. ووفقًا لجابر عصفور، كان مطران أكثر ميلًا للتجديد دون تناقض مع مذهب الإحياء (عصفور، 2009، 85). ولم تقف التحديات التي واجهها الشاعر في قصيدته عند الجمع بين التقليد والتجديد، بل تجاوزت ذلك إلى الجمع بين بنية قصيدة المدح القديمة

ومضمونها مع الواقع المعاصر، بالإضافة إلى مدح الملك عبد العزيز بحضور الملك فاروق. وينطلق مطران من رؤية معاصرة لمفهوم المدح تختلف عن الرؤية التقليدية، مستخدمًا أساليب شعرية تعكس التغيرات في الخطاب الثقافي والاجتماعي في العالم العربي الحديث.

بدأت اللقاءات بين الملكين عبد العزيز وفاروق في المخيم الملكي بجبل "رضوى" في يناير 1945، قبل أن يعود إلى مصر على متن يخته الملكي "فخر البحار" ويتلقى من الملك فاروق قلادة محمد علي الكبير ويهدي له سيفًا وخنجرًا مرصعين بالجواهر (رفاعي، 1977، 2: 75). وفي يناير 1946، غادر الملك عبد العزيز جدة متوجهًا إلى مصر على متن اليخت "المحروسة" برفقة تسعة عشر من أبنائه الأمراء لتلبية دعوة الملك فاروق. ووصل إلى ميناء بور توفيق حيث استقبله الملك فاروق، ثم انتقل بالقطار الملكي إلى القاهرة واستقبله الملك فاروق مرة أخرى في قصر "عابدين".

وخلال فترة ضيافته التي استمرت ثلاثة عشر يومًا، زار الملك عبد العزيز العديد من المدن والمنشآت الهامة، وعقد اجتماعًا مع الملك فاروق لمناقشة القضايا العربية. كما شارك الملكان في صلاة الجمعة في الأزهر، وزارا "جامعة فؤاد الأول" وميدان "سباق الخيل"، وشهدا عرضًا للجيش المصري. وتوجه الملك عبد العزيز إلى مقر جامعة الدول العربية في قصر المانسترلي؛ حيث أذّن للصلاة وأمّ المصلين. كما زار مزارع الملك فاروق في أنشاص والإسكندرية، قبل أن يعود إلى القاهرة؛ حيث أهدى هدايا قيمتها حوالي مئتي ألف جنيه إلى كبار المسؤولين والعلماء المصريين (رفاعي، 1977، 2: 75).

وفي نهاية زيارته، غادر الملك عبد العزيز السويس معبرًا عن مشاعره تجاه الشعب المصري؛ حيث قال للأديب العقاد (ت. 1964م) الذي رافقه في عودته للمملكة إنه حرص على الاستمتاع بكل لحظة من رحلته، متمنيًا أن يتمكن من تحية كل مصري من بين سبعة عشر مليون نسمة كانوا في ذلك الوقت (رفاعي، 1977، 2: 75-85). وعند زيارة الملك عبد العزيز لقصر عابدين واستقبال الملك فاروق له في القصر، ألقى مطران قصيدته: "عِيدٌ تَجَدَّدَ فِيهِ مَجْدُ عَدْنَان" التي يمدح فيها الملك عبد العزيز بحضور الملك فاروق ويحتفي بأخوتهما التي صنعت الأمل للعرب في مرحلة شهدت ميلاد الجامعة العربية.

البنية الخطابية للنص:

في سياق تحليل قصيدة مطران يمكن الاستناد إلى الإطار النظري الذي وضعه فان دايك حول بنيات الأخبار وعمليات إنتاجها (عبيدي، 2016، 134). ويتضمن هذا الإطار تمييزًا بين البنيات الكلية (macrostructures) المتعلقة بالمحتوى العام للنص، والبنيات الجزئية المعروفة بالبنية الخطاطية

(schematic structure). ويُعتبر مفهوم البنية الكلية محورًا أساسيًا في تحليل البنية الموضوعاتية (macropropositions topics)، حيث يعكس التنظيم الشامل للنص بناءً على موضوعات رئيسية (عبيدي، 2016، 134). ويمكن من خلال هذا التنظيم تَعرُّف الموضوع الأساس للقصيدة، والذي يمكن تلخيصه في قضية مركزية واحدة مع إمكانية تفرعها إلى موضوعات ثانوية. وتساعد هذه الطريقة التحليلية التي اقترحها فان دايك في فهم القصيدة من خلال تقسيمها إلى أقسام تعكس تدرّج الموضوعات وتفاعلها؛ مما يعكس التعقيد والعمق الدلالي للقصيدة.

لم يلجأ الشاعر إلى عناصر قصيدة المدح التقليدية التي تبدأ بذكر الديار والأطلال أو الرحيل. فنزعته الرومانسية، رغم تصنيفه ضمن شعراء الإحياء، تبعده عن تكرار بنية المدح القديمة التي لا تعبر عن شخصية مطران الذي وصفه حافظ إبراهيم بأنه "في طليعة أولئك الذين خرجوا عن أفق التقليد، وصدعوا قيود التقييد، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي" (سركيس، 1908، 52-53). فاتجه مطران في نونيته نحو بنية جديدة تدعم فكرة وحدة القصيدة؛ مما يعكس مدرسته التجديدية المتأثرة بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة التي دعا إليها أندريه شينيه؛ حيث يدعو إلى صياغة شعر كلاسيكي بأفكار جديدة (مندور، 2021م، 13).

وتختلف قصيدة مطران في بنيتها الخطابية (discourse structure) عن بنية كثير من قصائد المدح التقليدية التي تُصنَّف في الغالب – كما تستنتج سوزان ستيتكيفتش – ضمن قالبين: القالب الثنائي، أي قصيدة المدح الثنائية (الرحيل والمديح دون الوقوف على الديار) المرتبط بالاحتفاء بالنصر، أو القالب الثلاثي (ذكر الديار والأطلال، ثم الرحيل) المتعلق بالولاء للممدوح (2010، 190). فالقصيدة أحادية من جهة بنيتها الكلية المرتبطة بموضوع المديح، لكنها رباعية من ناحية البنيات الجزئية؛ فتبدأ بوصف اللقاء بين الملكين (الأبيات 1-4)، ثم الثناء على الملك فاروق (الأبيات 5-10)، ثم مدح الملك عبد العزيز (الأبيات 11-29)، ثم يختمها بتحية للقادة العرب (الأبيات 30-35). ويتجلى التحدي الذي يواجهه الشاعر في اختيار النموذج الأنسب لمدح الملك عبد العزيز بحضور الملك فاروق مع مراعاة السياق الاحتفالي للقصيدة. فقد أتيح للشاعر أن يمدح الملكين دون أن يفصل بينهما كما فعل في الجزء الافتتاحي من القصيدة، لكنه اختار أن يفصل بين الملكين، ويمدح الملك عبد العزيز بحضور الملك فاروق. وقد أثّر تركيزه على مدح الملك عبد العزيز على شكل القصيدة، وبنيتها، ومعانيها، وصورها، وأساليبها البلاغية. يقول مطران في قصيدته:

1. عِيدٌ تَجَدَّدَ فِيهِ مَجْدُ عَدْنَانِ وَقَدْ تَآخَى المَلِيكَانِ الوَفِيَّانِ

2. إِنْ مَثَّلا وَطَنَيْنِ اليَوْمَ فِي وَطَنٍ فَمَا العُروبَةُ إِلاَّ شَمْلُ أَوْطَانِ
3. هَزَّ ائْتِلافُهُمَا الدُّنْيَا وَبَشَّرَهَا بِيُمْنِ حَالٍ لأَجْيَالٍ وَأَزْمَانِ
4. وَمَا يُوَثِّقُ عَهْدا فِي أَوَاصِرِهِ كَمَا يُوَثِّقُهُ بِالوُدِّ قَلْبَانِ

***

5. فَارُوقُ يَا مَنْ كَفَاهُ فِي حَصَافَتِه وَعَدْله أَنَّهُ فَارُوقُ الثَّانِي
6. أَوْلَيْتَ مِصْرَ مِنَ الآلاءِ مَا نَطَقَتْ بِهِ رَوَائِعُ إِصْلاحٍ وَعُمْرَانِ
7. إِلَى مَفَاخِرَ مِلْءِ الشَّرْقِ مِنْ أَدَبٍ وَمِنْ فُنُونٍ وَمِنْ تَثْقِيفِ أَذْهَانِ
8. وَاليَوْمَ ضَاعَفْتَ مَا تُسْدِي بِمَأْثَرَةٍ أَعْيَتْ بِلُطْفِ المَعَانِي كُلَّ تِبْيَانِ
9. فَقَدْ أَتَحْتَ لِمِصْرٍ مُلْتَقًى عَجَبا جَلا لَهَا مَطْلَعَ البَدْرَيْنِ فِي آنِ
10. مَا أَعْجَزَ الشِّعْرَ عَنْ إِيفَاءِ حَقِّهِمَا لَوْ أَنَّهُ صِيغَ مِنْ دُرٍّ وَعِقْيَانِ

***

11. أَهْلا وَسَهْلا بِمَنْ فِي القَلْبِ مَنْزِلُهُ بِالعَاهِلِ العَرَبِيِّ البَاذِخِ الشَّانِ
12. كَالنَّجْمِ بُعْدا وَتُدْنِيه مُؤَانَسَةٌ كَاللَّيْثِ بَأْسا وَفِيهِ حِلْمُ إِنْسَانِ
13. رَصَانَةٌ وَذَكَاءٌ وَانْبِسَاط يَدٍ أَكْرِمْ بِهَا يَدَ سَمْحٍ غَيْرِ مَنَّانِ
14. سَلْ أَهْلَ نَجْدٍ وَسَلْ أَهْلَ الحِجَازِ بِهِ تَسْمَعْ أَحَادِيثَ سُمَّارٍ وَرُكْبَانِ
15. وَسَلْ أُولِي عَبْقَرِيَّاتٍ جَرَوْا مَعَهُ عَنْ عَبْقَرِيَّتِه فِي كُلِّ مَيْدَانِ
16. نِعْمَ الأَمِينُ لِبَيْتِ الله يُوسِعُهُ بِرّا وَيَرْعَاهُ فِي تَقْوَى وَإِيمَانِ
17. أَقَرَّ حَاضِرَهُ عدلا وَبَادِيَهُ مَا أَنْفَعَ العَدْلَ مُقْرُونا بِإِحْسَانِ
18. بَنَى القُرَى فِي أَقَاصِي البِيدِ يَعْمُرُهَا وَقَبْلَهُ لَمْ تُبَاشِرْهَا يَدَا بَانِ
19. يَسْتَقْبِلُ العَيْشَ فِيهَا مِنْ تَدَيُّرِهَا وَلا تُرَاعُ لَهُ شَاءٌ بِذُؤْبَانِ

20. وَأَخْرَجَ الدُّرَّ مِنْ أَخْلافِ جَلْمَدهَا لِلعَائِلِينَ وَمِنْ أَجْوَافِ غِيرَانِ
21. فِي الرِّزْقِ مَاءٌ لإِرْوَاءٍ وَتَغْذِيَةٍ وَفِيهِ مَاءٌ لأَنْوَارٍ وَنَيرَانِ
22. وَالمَاءُ وَالنَّارُ جَلَّ اللهُ رَبُّهُمَا فِي النَّفْعِ لِلنَّاسِ أَوْ فِي الضُّرِّ سِيَّانِ
23. حَيَّاكَ رَبُّكَ يَا ضَيْفا أَلَمَّ بِنَا وَنَحْنُ مِنْ جَذَلٍ أَشْبَاهُ ضِيفَانِ
24. إِنَّ البِلادَ الَّتِي وَلَّتْكَ سُدَّتَهَا لَهَا هَوَى مِصْرَ فِي سِرٍّ وَإِعْلانِ
25. هَوًى وَشَائِجُهُ فِيهَا مُقَدْسَةٌ وَقَدْ أَقَامَتْ عَلَيْهِ كُلَّ بُرْهَانِ
26. هَلْ أَبْصَرَ الرَّكْبُ حَشْدا غَيْرَ مُبْتَهِجٍ فِيهَا وَعَاجَ بِمَغْنًى غَيْرِ مُزْدَانِ؟
27. آلُ السُّعُودِ هُمُ الصِّيْدُ الأولَى كَتَبَتْ آيَ السُّعُودِ لَهُمْ أَقْلامُ مُرَّانِ
28. صَحَائِفُ المَجْدُ خَطُّوهَا وَزَيَّنَهَا عَبْدُ العَزِيزِ بِتَاجٍ فَوْقَ عُنْوَانِ
29. فَمَا غَوَى جَيْشُ مِصْرٍ فِي تَحِيَّتِه رَبَّ الكَتَائِبِ مِنْ رَجْلٍ وَفُرْسَانِ

***

30. يَا سَادَةَ العُرْبِ مِنْ صُيَّابَةِ نُجُبٍ أُوتُوا الرِّيَاسَاتِ أَوْ أَرْبَابُ تِيجَانِ
31. تَضُمُّهُمْ فِي سَبِيلِ الضَّادِ جَامِعَةٌ كُلٌّ بِهَا لأَخِيهِ خَيْرُ مِعْوَانِ
32. هَلْ بُغْيَةُ العُرْبِ إِلاَّ صَوْنُ عِزَّتِهِمْ بِالاِئْتِلافِ، وَإِلاَّ دَرْءُ عُدْوَانِ؟
33. لَمْ تَشْهَدُونَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَعْيُنِنَا، وَرُبَّ قَاصٍ عَلَى رَغْمِ النَّوَى دَانِ
34. وَيَا مَلِيكَيْنِ فُزْنَا مِنْ لِقَائِهِمَا بِنِعْمَةٍ عَزَّ أَنْ تُوفَى بِشُكْرَانِ
35. عِيشَا وَزِيدَا فَخارَ الأُمَّتَيْنِ بِمَا آتَاكُمَا اللهُ مِنْ جَاهٍ وَسُلْطَانِ

(مطران، 1949، 4: 357).

أ. مقدمة في العلاقة بين الممدوحَين (الأبيات 1-4):

يمهد الجزء الافتتاحي من القصيدة لخلق علاقة تشابه بين الملكين في المنزلة والمكانة مستخدمًا صيغة المثنى دون أن يقدم أحدهما على الآخر. وتُفْتَح القصيدة بذكر العيد الذي يرتبط بتكرار زمنين: ماضٍ ومستقبل. ويستخدم مطران الفعل "تجدد" (عاد وتكرر) ليؤكد تكرار الفرح في مناسبات العيد، وليشير إلى أن لقاء الملكين ليس حدثًا عابرًا، بل استمرار لتاريخ من مجد العدنانيين يتجدد عبر الأزمنة. فالعيد رمز الفرح والبهجة التي ألقيت في أجوائها القصيدة في لحظة تاريخية تمثل التقاء ملكين ينتميان إلى عائلتين مختلفتين حكمت أولاهما مصر، في حين حكمت الأخرى جلّ مناطق جزيرة العرب. وقد ورث الملك فاروق العرش من أبيه، على حين أسّس الملك عبد العزيز دولة جديدة شكّلت امتدادًا لحكم عائلته في جزيرة العرب خلال القرون الثلاثة السابقة (العثيمين، 2018، 1: 76).

وتركز بداية القصيدة وجزؤها الافتتاحي على العلاقات المتنوعة بين الملكين، بدءًا بعلاقة النسب. فيشير الشاعر إلى عدنان الذي تنتسب إليه قبيلة الملك عبد العزيز (الحنبلي، 1999، 31)، في حين ينسجم ذكر الشاعر لعدنان في سياق الربط بين الملكين إلى ما بذله مؤرخون مصريون في مرحلة إلقاء القصيدة لإثبات نسب الملك فاروق إلى الأشراف، ونفي أصله الألباني (عزاوي، 2003، 43). (عباس، 2003م، 43). وجاء قرار نقابة الأشراف في مصر ليؤكد صحة نسب الملك فاروق للسلالة النبوية (عبيد، 2018، 99). وهكذا، يشير المطلع إلى العلاقة الفطرية بين الملكين المنتميين إلى عدنان، كما يدل الفعل "تآخى" على تأسيس الملكين لعلاقة جديدة بينهما أساسها الأخوة والوفاء.

بدأت القصيدة بعلاقة الأخوة (البيت 1)، ثم اتسعت دائرة هذه العلاقة لتشمل الوطنين: مصر والمملكة العربية السعودية بوصف الملكين ممثلين لوطنيهما (البيت 2)، ثم امتد تأثير هذه العلاقة مكانيًا ليشمل الدنيا التي بشّرها الشاعر باليمن والبركة، وزمنيًا ليتجاوز أثرُها الحاضرَ إلى أجيال المستقبل (البيت 3). وحوّل الشاعر في البيت 3 الصورة المعنوية المرتبطة بالائتلاف السياسي بين الملكين وبلديهما إلى صورة حسية تمثلت في صورة الهزة الكونية المفاجئة التي أثرت في العالم. ثم أتبع صورة الهزة الكونية بالفعل "بشّر"؛ ليشير إلى أن الائتلاف بين الملكين مقدمة للنجاح والتفاؤل الذي يعم العالم ويبشره بالتغيير والتحول إلى الخير واليمن والبركة.

وجرت عادة شعراء المديح في الأدب العربي القديم أن يختاروا الصفات المعبرة عن قوة الخليفة الممدوح الاستثنائية؛ حيث تُستخدم أوصاف تعكس التنافس مع الخصوم، خصوصا إذا كان الممدوح حاكمًا لدولة

أو إمارة كما في مدائح الشعراء لأمراء الدول المتنافسة في المشرق والمغرب والأندلس (BinMayaba, 2015, 98). وفي السياق المحيط بالقصيدة يتبنى الشاعر مفهوم التعاون المبني على الأخوة بدلًا من التنافس؛ مما يجعلها أساسًا يلزم كل طرف بنصرة الآخر في السراء والضراء. ويضيف إلى ذلك قيمة الوفاء، بوصفها بعدا أخلاقيا يُلزم الملكين بالمحافظة على علاقة الأخوة بينهما. وتؤكد صيغة "قد" مع الفعل الماضي "تآخى" اكتمال وتحقق مرحلة التآخي بين الممدوحين اللذين يمثلان وطنيهما (رشيد، 2008، 106)، مما يعكس تحقق التزامهما المشترك بمبادئ الأخوة والولاء.

وينقل الشاعر علاقة الأخوة بين الملكين في المطلع إلى مستوى أوسع يجعلهما ممثلين لشعبيهما ووطنيهما. فشرعية الممدوحين التي تشير إليها جملة الشرط "إن مثّلا وطنين اليوم في وطن" تنطلق من فكرة تمثيل الملكين لشعبيهما. وفي هذا السياق تشير عبارة "فَمَا العُروبَةُ إِلاَّ شَمْلُ أَوْطَانِ" الواردة بصيغة القصر بالنفي والاستثناء (قصر الموصوف على الصفة إفرادا) (الصعيدي، 1969م، 2: 11) إلى مشروع الجامعة العربية الذي تأسس قبل إلقاء القصيدة بأقل من عام، وبالتحديد في الثاني والعشرين من مارس 1945م، وبُني على فكرة اتحاد الأجزاء العربية في بنية واحدة تجمع الأوطان العربية المتباعدة، كما تنسجم العبارة مع ما رواه كريم ثابت من أن الملك عبد العزيز اقترح على الملك فاروق إقامة وحدة بين البلدين: المملكة العربية السعودية ومصر (رفاعي، 1977، 2: 75).

وتظهر في البيت الثاني ملامح الاستراتيجية الخطابية (discourse strategy) التي تهدف إلى الانطلاق من القومية العربية في مدح الملك عبد العزيز والثناء على الملك فاروق. فيؤكد البيت تعدد الأوطان العربية جغرافيًا ووحدتها قوميًا؛ حيث يمثل الممدوحان وطنيهما وشعوبهما العربية. ومن هنا تتشابه منزلة الحكام العرب في رؤية الشاعر؛ حيث لا يتنافى مدح أحدهم مع مدح الآخر. ويوضح تعريف الشاعر للعروبة بقوله: "فَمَا العُروبَةُ إِلاَّ شَمْلُ أَوْطَانِ" (البيت 2) أن العروبة التي ينادي بها الشاعر هي عروبة متصلة وجامعة. وتُعتبر العروبة في رؤية مطران بديلا عن الحكم العثماني الذي قاومه وكتب قصائد في ذمه؛ مما أدى إلى فراره من لبنان إلى باريس (عويضة، (د.ت)، 7-10).

ويلجأ الشاعر في نهاية الجزء الافتتاحي إلى معجم الاتفاقيات الدولية، ويختار منه الفعل "يوثّق" مع إسناده إلى قلبي الملكين؛ ليعبّر عن التزامهما بالتحالف القلبي، فعلاقة الحب بين قلوب المحبين لا تتطلب توثيقًا خطيًا، كما أن العلاقة بين الملكين تقوم على الود الذي يربط بأواصره المتعاهدين. ثم يلجأ إلى معجم الأخلاق ليصف الملكين بالوفاء بالائتلاف الذي يلزم كل طرف بالالتزام بوعوده للآخر. وينسجم استخدام

الشاعر لأسلوب رد العجز على الصدر في تكراره للفعل "يوثّق" واختياره لكلمة (قلبان) في إشارته إلى الملكين بأسلوب المجاز المرسل مع طبيعة علاقة الود التي اختارها الشاعر لتكون رابطًا يجمع الملكين، كما أن العلاقة المعتمدة على القلب تُعتبر أكثر ثباتًا وموثوقية من العلاقة العقلانية المرتبطة بالمصالح المتغيرة.

ب. الثناء على الملك فاروق (الأبيات 5-10):

ينتقل الشاعر من تصوير الانسجام بين الملكين إلى الثناء على الملك فاروق الذي استقبل الممدوح: الملك عبد العزيز. ويبدأ هذا الجزء بتكرار أسلوب النداء، مستخدمًا النداء المحذوف (فاروق) الذي يعكس القرب النفسي (الزهاوي، 2024، 209)، ثم يتبعه بالنداء بـ"يا من". ويستغل الشاعر التشابه بين اسم الملك فاروق ولقب الخليفة عمر بن الخطاب الذي اشتهر بعدله وبفتح مصر؛ ليؤسس لعلاقة تطابق بين الفاروقين؛ مما يجعل حكم الملك فاروق الذي لقب نفسه بـ"فاروق الأول"، امتدادًا لحكم الخليفة عمر. وكما تشير ستيتكيفيتش، فإن قصيدة المدح تعيد تشكيل الماضي لتأكيد الحاضر؛ مما يجعله يتطابق مع أسطورة تاريخية (ستيتكيفيتش، 2010، 116). فيربط تشبيه الملك فاروق بالفاروق عمر بن الخطاب بين الماضي والحاضر؛ حيث يستدعي الشاعر شخصية تاريخية ليمدح شخصية معاصرة تحكم مصر. ويشير اختيار الفعل "كفاه" إلى تحقق التشابه بين الفاروقين؛ مما يبرر إيجاز الشاعر في مدح الملك فاروق الذي يكفيه شرف التشبيه بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب في عدله وحكمته.

ويمدح الشاعر الملك فاروق في البيت 6 مبتدئًا بأسلوب الالتفات من ضمير الغائب (أنه) في البيت 5 إلى ضمير المخاطب (أوليت) لتعظيم المخاطب بما يناسب أسلوب الإلقاء (ابن الأثير، (د.ت)، 2: 137). ويربط الشاعر بين الملك فاروق ومصر، فعمران مصر نتيجة للنعم التي منحها لها الملك فاروق، ونهضتها الثقافية والفكرية والفنية أثر لما قدمه لها ملكها. وبهذا تكون مصر معادلًا للملك فاروق، ونجاح الإنسان المصري نجاح للملك فاروق الذي عمل على تثقيف أذهان المصريين (البيت 7). ومن هنا تتحول مصر إلى وسيلة تحقق غايتين نصيتين للشاعر: إيجاز مدحه الملك المصري، والتخلص من مدح الملك فاروق لمدح الملك عبد العزيز.

ويتخلص الشاعر من مدح الملك فاروق بالثناء على استضافته للملك عبد العزيز في مصر. وبهذا يتحول مدح الملك عبد العزيز في الجزء الثالث إلى ثناء على الملك المصري الذي أكرم ضيافته. لكن تأثر الشاعر بقصيدة المدح القديمة يجعله يشبه الملكين بـ"البدر" بصيغة المثنى في قوله "مطلع البدرين"، رغم أن البدر

واحد. فقد جرت عادة الشعراء أن يشبهوا الملك بالبدر وغيره بالنجوم كقول نصيب بن رباح (ت. 726م) في سليمان بن عبد الملك (ت. 717م) :

هوَ البدرُ والناسُ الكواكبُ حولهُ وهل يشبهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ

(العسكري، 1994م، 1: 20)

لكن الشاعر يعتمد في البيت 10 على تقنية الشعر عن الشعر (metapoetry) ليعبر عن صعوبة الجمع بين الممدوحَين، محملًا الشعر مسؤولية أي انزياح أو تقصير في مدح الملكين.

ج. مدح الملك عبد العزيز (الأبيات 11–29):

يختصر الشاعر ثناءه على الملك فاروق في الأبيات السابقة بأسلوب يحول الجزء الافتتاحي من القصيدة ليكون مقدمة لمدح الملك عبد العزيز. فبينما يستخدم لغة مباشرة في الثناء على الملك فاروق، يعتمد على تقنيات بلاغية مكثفة في مدح الملك عبد العزيز؛ مما يؤثر في المتلقي؛ حيث يؤدي استخدام هذه التقنيات مع البنيات الدلالية والنحوية، وفقًا لفان دايك، وظائف تأثيرية تمنح الخطاب أهمية إقناعية (van Dijk, 1997, 35). كما يراعي الشاعر السياقات الثقافية في الثناء على الملك فاروق ومدح الملك عبد العزيز؛ حيث يركز في ثنائه على الملك فاروق على عناصر ثقافية تتعلق بوصف سياق الحدث المعاصر، في حين ينطلق في مدح الملك عبد العزيز من سياق نص قصيدة المدح القديمة، ولغتها، ومعانيها، وطقوسها.

ويفتتح الشاعر هذا الجزء من القصيدة بالترحيب بالملك السعودي مع تأكيد مكانته الخاصة في قلب الشاعر. ويسعى الشاعر لإقامة علاقة نفسية مع الملك عبد العزيز؛ مما يمهد للثناء على الضيف الزائر لمصر. وتعزز مشاعر الود هذه العلاقة من خلال استخدام هيكل التعبير الصوتي (the expression structures of sound) "أهلا وسهلا"، الذي يؤكد القبول، ويدل على أن الملك قد حلّ أهلًا ونزل سهلًا في مصر. ويصف الملك بـ"العاهل" التي تدل لغويًا على "المِلِكُ الأَعْظَمُ، كالخَلِيفَةِ" (الصقلي، 1983، 2: 383). وخصّ الملك عبد العزيز بصفة "القائد العربي" ليجعله أنموذجًا للقادة العرب في تلك المرحلة. وفي وصفه بـ"باذخ الشأن" تذكير بالمنزلة الرفيعة التي تبوأها الممدوح في تلك الفترة والتي تجلت في لقائه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت (ت. 1945 م) (ياغي، 2002، 64) ثم رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل (ت. 1965) (زمل، 2005، 5: 110)، قبل زيارة مصر للقاء الملك فاروق.

ويغيب ذكر الملك فاروق في هذا الجزء من القصيدة، لكن تأثيره مستمر بوصفه حاضرًا للحفل ومستمعًا للقصيدة. وفي هذا السياق يفهم تشبيه الملك عبد العزيز بالنجم في البيت 12 بصيغة التشبيه التام في قوله "كَالنَّجْمِ بُعْدًا وَتُدْنِيه مُؤَانَسَةٌ" بدلًا من تشبيهه بالشمس كما في قول النابغة الذبياني (ت. 605 م) يمدح النعمان بن المنذر (ت. 608م):

بأنكَ شمسٌ والمُلوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبْدُ منهنَّ كوكبُ

(2016م، 25)

وكما في تشبيه الملك عبد العزيز بالشمس بصيغة التشبيه البليغ في قول الشاعر محمد بن عثيمين (ت. 1944م):

لكِنَّ شَمسَ مُلوكِ الأَرضِ قاطِبَةً عَبدُ العَزيزِ بِلا مَينٍ وَلا كَذِبِ

((د.ت)، 32)

فالشمس واحدة، والتشبيه بها يجعل الملك فاروق نجمًا أو كوكبًا يدور في فلك شمس الملك السعودي، لكن تشبيه الملك عبد العزيز بالنجم لا ينفي أن يكون الملك فاروق نجمًا كذلك.

ويحدد الشاعر في البيت 12 وجه الشبه بين الملك عبد العزيز والنجم بصفته العالية وقربه من هموم شعبه. ويتكرر أسلوب التشبيه في الشطر الثاني من خلال تشبيه الملك بالليث في بأسه؛ حيث يصفه الشاعر بأنه "كَاللَّيْثِ بَأْسًا وَفِيهِ حِلْمُ إِنْسَانِ"، على عكس ابن عثيمين الذي استخدم استعارة "ليث الليوث" في وصف الملك عبد العزيز بقوله:

لَيْثُ الليوثِ أَخُو الهَيْجَاءِ مِسْعَرُهَا السَّيِّدُ المِنْجِبُ ابنُ السَّادَةِ النُّجُبِ

(نفسه)

ويقيد الشاعر وصف الممدوح بالليث في بأسه بقوله "وَفِيهِ حِلْمُ إِنْسَانِ" لغرضين: الثناء على حلم الممدوح رغم بأسه، ومراعاة السياق بما يلغي احتمالية تفسير التشبيه المطلق للملك بالليث على أنه تغليب للملك السعودي على نظيره المصري المتلقي للقصيدة.

إن تشبيه الملك عبد العزيز بالنجم والليث مستمد من سياق قصيدة المدح القديمة، ويناسب هيكلة الخطاب الشعري وفقًا لفان دايك؛ حيث تُستخدم معانٍ مجازية إيجابية لوصف الممدوحين، على حين

تُستخدم أوصاف معاكسة للخصوم. وتنسجم التشبيهات في البيت مع بنية الخطاب المؤثر في رؤية فان دايك؛ حيث يوصف القادة بحيوانات قوية مثل الأسود، في حين يوصف الخصوم بحيوانات ماكرة، وتستخدم ألفاظ إيجابية لوصف الأنصار، على حين يُعبر عن الأعداء بعبارات سلبية (van Dijk, 1997, 35). ويجمع البيت 13 بين الأضداد، معبرًا عن شخصية الممدوح التي ترتفع إلى منزلة النجوم في حين يقربه تواضعه من الناس، ويظهر بأسه بوصفه ليثًا مع حلمه الذي يغلب على قوته.

عُرف الشعراء قديمًا باعتمادهم في المدح على أربع خصال: العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، وفقًا لما ذكره قدامة بن جعفر في قوله: "لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك؛ إنما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا، وبما سواها مخطئا" (البغدادي، (د.ت)، 2: 135). وفي قصيدة مطران، اختار الشاعر صفتي العقل والعدل في ثنائه على الملك فاروق (البيت 5)، في حين استوعب الصفات الأربع في مدح الملك عبد العزيز. ويجمع البيت 13 بين فضيلتي العقل والعدل؛ حيث يتناسب الذكاء والرصانة مع فضيلة العقل، ويدل انبساط اليد على العدل. ويخاطب الشاعر من يشك في صدق ما ذكره عن الممدوح بأن يتيقن من خلال سؤال أهل نجد والحجاز؛ حيث تُملأ المجالس بأخبار الملك عبد العزيز. وللتحقق من عبقريته يُنصح بسؤال عباقرة التاريخ والأدب والسياسة عن عبقرية الممدوح.

ويعتمد البيتان 14 و15 على الشفهية (orality)، التي تتوافق مع صناعة البطل في الثقافات القديمة (Finnegan, 2003, 27) مثل قصص عنترة بن شداد في الثقافة العربية. وتتيح الشفهية للسائل إضافة عناصر جديدة لرسم صورة الملك، كما تتيح للجمهور المتلقي للسؤال من نجد والحجاز التعبير عن آرائهم في شخصية الممدوح بما يخلق مسافة تفصل بين المتكلم (مطران) والصوت الخارجي (أهل نجد والحجاز)؛ وكأن الشاعر يقتبس من كلام أهل نجد والحجاز ما يؤكد صحة كلامه على طريقة فعل التمثيل الذي يمثل فعل الكلام عند فيركلف (2015، 150). وبصورة عامة تتضمن القصيدة مفردات مجازية أو حقيقة ذات أبعاد شفهية، مثل "نطقت" (البيت 6)، و"سل" و"تسمع" (البيتان 14-15)، وأسلوب الاستفهام (البيت 26، 32)، وأسلوب الالتفات من الغائب للمخاطب (البيتان 6، 23)، وعبارات الترحيب مثل "أهلًا وسهلًا" (البيت 11) و"حياك ربك" (البيت 23)، والنداء (الأبيات 5، 30، 34)، مما يعكس تفاعل الشاعر مع الممدوح والجمهور. وتعزز هذه العناصر بناء سردية تربط بين الممدوح والشعب العربي، وبين الماضي والحاضر؛ مما يجعل القصيدة تراعي سياق الحدث.

ويرتبط التكرار بالشفهية من حيث التذكر والإقناع؛ حيث تعزز عمليات التكرار على مستوى الأصوات (الوزن والقوافي) وأشكال الجملة (التوازي) والمعنى (التكرار الدلالي) جذب الانتباه إلى المعاني المفضلة (van Dijk, 1997, 35). فبعكس الكتابة الثابتة يتميز السماع بالتنوع الذي يثري الصورة؛ حيث يسمع السائل عن الممدوح معلومات مختلفة من أهل الحجاز ونجد. ويسهم تكرار فعل الأمر "سل" في البيتين 14 و15 في تعزيز المعاني التي أشار إليها الشاعر. كما أن الطلب من المتلقي أن يسأل الآخرين عن الممدوح يجعل الشاعر وسيطًا بين الممدوح والشعب العربي، ناقلًا ثناء العامة والخاصة، وليس مجرد شاعر مادح يسعى للمال أو الجاه.

يبدأ الشاعر بسرد إنجازات الممدوح، متناولًا خدمة بيت الله الحرام؛ مما يمنحه شرعية دينية تميزه عن غيره من الملوك، وتقربه من منزلة الخلفاء في التاريخ الإسلامي. فاستدعاء بيت الله والثناء على الممدوح بوصفه أمينا له يؤسس لعلاقة بين قصيدة مطران وقصيدة المدح القديمة، ويساعد على تحقيق وظيفة قصيدة المدح المتمثلة في حفظ الأيديولوجية العربية الإسلامية للحكم (ستيتكيفيتش، 2010، 106). كما يعزز أسلوب المدح بـ "نعم" مكانة الممدوح بوصفه أحد أمناء بيت الله عبر التاريخ. وباستخدام صيغة الفعل المضارع "يُوسِعُهُ" و"وَيَرْعَاهُ"، يؤكد الشاعر أن رعاية الممدوح لبيت الله تمتد في الحاضر والمستقبل. ثم يتحول الشاعر إلى صفة العدل الجامعة بين الدين والدنيا، والتي يشترك فيها الملكان: الملك عبد العزيز والملك فاروق (البيت 5). وتضيف الإشارة إلى مكة وخدمة الممدوح لبيت الله الحرام وارتباط تلك الخدمة بتقوى الله والإيمان به (البيت 16) بعدًا يتعلق بتقبله وانفتاحه على الثقافة الإسلامية. كما يدل ثناء الشاعر على الممدوح من جهة العدل والإصلاح والعمران والكرم في استقبال المهاجرين للعيش في مملكته في (الأبيات 17–19) على الأبعاد الإنسانية التي تتميز بها شخصية الشاعر كما يقول طه حسين (2021، 63). فالممدوح عادل لم يميز في حكمه وعدله بين أهل الحاضرة وأهل البادية، واقترن عدله بالإحسان إليهم. فإذا كان العدل مع الفقير يمنع أن يقع عليه الظلم، فإن الإحسان إليه يغنيه عن السؤال.

ويعتمد مدح الملك عبد العزيز في الأبيات 18–22 على فكرة إحياء الإنسان والأرض. فمن الخصال التي يمدح بها الملوك والخلفاء في الأدب العربي قدرتهم على البناء والهدم فهم مدمرون لأعدائهم كما في بائية ابن عثيمين التي صور فيها دخول الملك عبد العزيز للأحساء قائلًا:

صَبَّ الإِلهُ عَلَيهِم سَوطَ مُنتَقِمٍ مِن كَفِّ مُحتَسِبٍ لِلَّهِ مُرتَقِبِ

فِي أَوَّلِ اللَيلِ فِي لَهوٍ وَفِي لَعِبٍ وَآخِرِ اللَيلِ فِي وَيلٍ وَفِي حَرَبِ

((د.ت)، 33)

وقبل ذلك في بائية أبي تمام التي وصف فيها قدرة جيش المعتصم على تدمير حصون عمورية في قوله:

رَمى بِكَ اللهُ بُرجَيها فَهَدَّمَها وَلَو رَمى بِكَ غَيرُ اللهِ لَم يُصِبِ

(أبو تمام، 1900، 9)

وفي المقابل، هم غيث لأوليائهم بالعطاء والمال والبناء. وإذا كان الملك فاروق مجددًا لعمران مصر التي ورث ملكها عن آبائه (البيت 6)، فقد أسس الملك عبد العزيز قرى في جزيرة العرب لم تُبن من قبل. وتشير كلمة "القرى" إلى المرجعية الثقافية (cultural reference) للملك السعودي؛ مما يبرز إنجازه في بناء صحراء لم تبن من قبله. ويمزج البيت 18 بين صيغة الماضي (بنى) والمضارع الدال على الحاضر والمستقبل (يعمرها)، ليشمل الأزمنة جميعها؛ حيث قام الممدوح ببناء القرى في الماضي ولا يزال يعمرها في الحاضر، وسيستمر في المستقبل.

ويستدعي البيت 19 صفة الكرم والجود؛ حيث لا فرق في مملكة الممدوح بين سكانها والمهاجرين إليها، كما يمدح الشاعر كرم الملك عبد العزيز الذي بنى القرى لقبائل جزيرة العرب؛ مما أتاح لهم الاستقرار بدلًا من حياة التنقل في البيداء. ويستدعي البيت 19 صورة اقترنت تاريخيًا بالعدل في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وهي صورة الشاة التي لا تخشى الذئب؛ ليبرز ما حققه الملك عبد العزيز من عدل وتطبيق للشريعة الإسلامية في جزيرة العرب التي كانت تعاني قبله من قطع الطريق وتسلط الأقوياء على الضعفاء (رفاعي، 1977، 2: 88-91).

اتبع الشاعر أسلوب القصيدة العربية القديمة في استخدام الرموز الطبيعية لتعزيز معاني البناء والملء المنسجمة مع دلالات إعادة الإحياء والابتعاد عن الرموز الطبيعية التي تحمل معاني التفريغ والإماتة وفق مصطلحات سوزان ستيتكيفيتش (Stetkevych, 1975, 258). وفي هذا السياق تبرز رموز الماء الذي يدل على الحياة والنار التي ترمز إلى نقيضين: الكرم (الحياة) والدمار (الموت). وترمز صورة إحياء الأرض وبناء القرى إلى طقوس الملء؛ مما يعزز التطابق الأسطوري بين الممدوح الملك عبد العزيز والممدوح في القصائد القديمة. واختار الشاعر ألفاظًا ذات معانٍ متعددة لدعم البعد الرمزي، مثل "الدر" للإشارة إلى اكتشاف النفط في المملكة عام 1935. ويربط البيت 12 بين الماء والنار، ليؤكد نجاح الممدوح في تحويل الماء والنار إلى مصادر للحياة.

وجرت عادة الشعراء أن يشبهوا الممدوح بالمطر الذي يحيي الأرض، لكن الشاعر ينتقي صورة مغايرة يصف فيها الممدوح بأنه أخرج غيثًا من باطن الأرض، يشبه الدر في لمعانه وثمنه. وقد أخرج الملك هذا الغيث للعائليين كما يُخرج الماء للعطشى، مع وجود فرق بين الماءين: ماء للرزق والطعام وماء للنور والنار، يمثل الماء الأول إحياء الإنسان في حين يرمز الثاني الذي لم يذكره الشعراء من قبل لإحياء الأمم. ويؤسس الشاعر لتضاد ظاهري بين الماء والنار؛ حيث يُعتبر الماء مصدرًا للحياة وقد يؤدي للدمار، في حين أن النار قد تكون سببًا للموت والدمار لكنها أيضًا وسيلة للحياة والنمو.

وتنتمي القصيدة بمجملها إلى شعر المناسبات، ويتحول الخطاب في الأبيات 23-25 من المدح الخالص بالضمير الغائب إلى ضميري المخاطب (حياك ربك)، للتعبير عن البهجة والسرور بزيارة الممدوح لمصر، والمتكلم (ألمّ بنا) للإشارة لانتماء الشاعر لمصر؛ فقد كان مطران مصري الهوى وخدم مصر خدمات جليلة في الأدب والثقافة والاقتصاد حتى عرف بشاعر القطرين: لبنان ومصر (أبو شادي، 2022، 46). ويستند الشاعر في القصيدة، عامة، وفي البيتين 24–25، خاصة، على معاني الحب وصوره لوصف العلاقة بين مصر والمملكة العربية السعودية مكررًا استناده لعلاقة الود بين الملك عبد العزيز والملك فاروق (البيت 4). ولأن الملكين يمثلان وطنيهما (البيت 2)؛ فأساس العلاقة بين الوطنين الهوى والحب (البيتان 24–25). وتنسجم الأبيات مع السياق لتؤدي دور الاحتفاء بالملك عبد العزيز والترحيب به.

ويخاطب الشاعر الممدوح معتمدًا على أسلوب الالتفات من الغائب إلى المخاطب بعبارة "حياك ربك" (البيت 23) التي تستخدم للترحيب بالضيف كما تحمل دلالة لغوية تتعلق بالبقاء والملك كما جاء في القاموس المحيط: "حَيَّاكَ الله: أبقاكَ، أَو مَلَّكَكَ" (الفيروز آبادي، 2005، 1: 1278). ويؤكد الشاعر باستخدام "إن" صدق تمثيل الممدوح لبلده التي اختارته قائدًا لها، ويؤسس لعلاقة نفسية بين بلد الممدوح الضيف (المملكة العربية السعودية) وبلد الممدوح المضيف (مصر) تقوم على الهوى والحب والحنين إلى الديار المقدسة في مكة والمدينة (البيتان 24-25). فليست علاقة في العلن تخفي ما ينافيها في السر كالحسد أو النفاق، ولا علاقة في السر يُخشى من إعلانها، بل علاقة في السر والعلن. وليست علاقة اقتصادية أو مادية تزول بزوال المنفعة، لكنها علاقة دينية مقدسة تتعلق فيها قلوب المصريين بالأماكن المقدسة في الحجاز، ويعكسها خروجهم في شوارع مصر لاستقبال الملك عبد العزيز.

ويخاطب الشاعر في البيت 26 ركب الممدوح من أبنائه وأقاربه وحاشيته بصيغة الاستفهام التعجبي، ويتساءل إن كان الركب قد أبصروا شيئًا غير بهجة الشعب وفرحه بزيارة الممدوح. وفي هذا السياق يصف

محمد علي رفاعي خروج المصريين لاستقبال الملك عبد العزيز بقوله: "فمن لم يشهد هذا الاستقبال الرائع العظيم الجليل فقد فاته شيء كثير في حياته. وهل في مصر من لم يشهده؟ لقد حرص كبراؤها وسادتها وشيوخها وشبابها ونساؤها ورجالها، وعمالها وطلبتها، وكل طبقة فيها، على أن يشهدوا هذا اليوم الخالد" (رفاعي، 1977، 2: 76). وتعكس الصورة البصرية المبنية على الاستفهام (هَلْ أَبْصَرَ الرَّكْبُ ...) والصورة المجازية (وَعَاجَ بِمَغْنًى غَيْرِ مُزْدَانِ) ذروة التفاعل بين الشاعر والملكين والجمهور المتلقي للقصيدة من أبناء الملك عبد العزيز وأقاربه المرافقين له والجمهور المصري الذي استقبل الوفد السعودي في الشوارع والطرقات. ويصف رفاعي استقبال الجمهور المصري للملك عبد العزيز قائلا إن مصر استقبلت ملوكًا كثيرين سابقًا، لكن لم يكن هناك ترحيب كترحيب أمس. ويعزو ذلك إلى تضافر الجامعة العربية واعتزاز العرب بملك غيور مخلص، هو عبد العزيز آل سعود (رفاعي، 1977، 2: 77).

تُحقق عودة الشاعر إلى المديح في هذا الجزء من القصيدة غرضين يتعلقان بعائلة الممدوح: الثناء على حاشيته وأبنائه المرافقين له، وربط إنجازات الممدوح في الحاضر بأمجاد عائلته في الماضي. ويصف عائلة الممدوح بأنهم "صِيد"، كناية عن الثقة بالنفس والسير نحو المجد. ويستخدم الشاعر الجناس لربط عائلة آل سعود الذين خطوا مجدهم في صفحات التاريخ بأقلام شجر المران بنجوم السُّعود "وهي عشرة أنجم كل واحد منها سعد" (الزبيدي، (د.ت)، 2: 376). ويشير البيت 29 إلى العروض العسكرية التي قدمها الجيش المصري أمام الملك عبد العزيز في ساحة واسعة في سكة السويس بالقاهرة، كما أقام فرسان العرب بزيهم الوطني عروضًا عسكرية أمام الملكين.

د. تحية للقادة العرب (الأبيات 30–35):

تركز الأجزاء السابقة من القصيدة على الملكين عبد العزيز وفاروق؛ حيث تسيطر اللغة الوصفية على الصور والعبارات. وفي الجزء الختامي يتحول الخطاب من المدح المباشر إلى التعبير عن صوت الشاعر والشعوب العربية، ويتشوق للقاء قادة الدول المؤسسة للجامعة العربية قبل أن يختم بالدعاء للملكين بالعمر المديد مع ما وهبهما الله من جاه وسلطان. ويمتزج المدح بالطلب والنداء، كما يتداخل الألم من العدوان (البيت 32) بالأمل في القادة العرب. وتتسع دلالة النداء في قوله "يا سادة العرب" (البيت 30) لتشمل جميع ملوك ورؤساء البلدان العربية السبعة المنضمة لجامعة الدول العربية مستندًا إلى أسلوب الندبة لإظهار التفجع من العدوان المشار إليه في البيت 32 (المبرد، 1994م، 4: 268). كما يجعل النداء الخطاب مباشرًا؛

حيث يرسل الشاعر رسالة للقادة العرب مفادها صد العدوان، ويضمن الاستقبال المباشر لحظة إلقاء القصيدة؛ مما يلغي احتمالات التأويل التي قد تخرج الرسالة عن مضمونها.

استخدم الشاعر صيغة الفعل المضارع المبني للمجهول "أوتوا" ليشير إلى الرؤساء في حين استخدم صيغة الصفة "أرباب تيجان" التي تحمل دلالة الثبات في إشارته للملوك العرب. واختار الانتماء للغة الضاد دون غيره من أشكال الانتماء كالعرق والدين وغيرهما؛ لأنها العنصر المشترك الذي يجمع شعوب بلدان الجامعة العربية بأعراقهم المختلفة وتنوعاتهم الدينية: المسيحية (الشاعر) والإسلام (الملكين).

ويلجأ الشاعر إلى أسلوب الاستعارة في قوله: "كُلٌّ بِهَا لأَخِيهِ خَيْرُ مِعْوَانِ" ليشكل تصورًا في ذهن الملوك والرؤساء العرب حول لزوم خدمة الجامعة العربية والسعي نحو رقيها. ويستعير الشاعر علاقة أخوة النسب بما تتضمنه من حقوق والتزامات، ليخلق علاقة بين الملوك ضمن "أسرة" الجامعة العربية على طريقة الاستعارة عند عالم اللغويات المعرفية جورج لايكوف التي تعني تصور شيء في مجال عن طريق شيء في مجال آخر (Lakoff, 1993, 203). فباستخدام استعارة "الأخوة"، يربط الشاعر القادة العرب بقيم الأخوة والتضامن، مستخدمًا صيغة المبالغة "معوان" لوصف هذه العلاقة؛ مما يعكس رؤية للعلاقات بينهم في بداية الجامعة العربية، تشبه العلاقة الوثيقة بين قلبي الممدوحين في البيت 4. وتخلق الاستعارة إطارًا مفاهيميًا يعزز دور القادة في التعاون بين البلدان العربية، وتتحول اللغة العربية (تَضُمُّهُمْ فِي سَبِيلِ الضَّادِ) إلى أداة تتجاوز التواصل اللغوي إلى التواصل القومي الذي يؤدي إلى الوحدة بين الشعوب وقادتهم.

تحتمل صيغة الإنشاء الطلبي بالنداء في البيت 30 التفسير بأنها موجهة للملكين الممدوحين، لكن مخاطبة القادة بضمير جمع الغائب "تضمهم" في البيت 31 و "لم تشهدونا" في البيت 33 تشير إلى أن النداء موجه أيضًا للقادة العرب الآخرين. وجاء جواب النداء بعد أداة النداء ببيتين (البيت 32) ممهّدًا للرسالة الموجهة للملوك والرؤساء العرب بشأن الغاية من إنشاء الجامعة العربية: الائتلاف وصد العدوان. فالشاعر وسيط بين الشعب العربي وقادته، وجوهر رسالته أن الشعب يرغب في صون عزته وكرامته من خلال الوحدة لنصرة المظلومين من الشعوب العربية. ويحتمل الاستفهام في البيت 32 أن يكون بهدف تذكير القادة العرب بمقاومة العدوان؛ لكن الأقرب أن يكون استفهامًا تقريريًا يؤكد الغاية من إنشاء الجامعة العربية: التعاون وصد العدوان. ثم يعود الشاعر لسياق المدح ليعبّر عن قرب هؤلاء القادة من قلبه وقلبي الملكين. وفي السياق التاريخي للقصيدة قد تشير كلمة "عدوان" إلى صراعات بعض البلدان العربية ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي.

يخالف الجزء الأخير من القصيدة بما يتضمنه من إشارة للشاعر وللملكين بـ"نا" المتكلمين في "تشهدونا"، "أعيننا" (البيت 33) و"فزنا" (البيت 34) اتجاه خليل مطران العام المعتمد على "تنكير نفسه ومشاعره الخاصة وأفكاره السياسية والاجتماعية بحكم خصائصه النفسية وظروف حياته" (مندور، 2021م، 19). فقد ظل الشاعر منذ نبوغه ينادي بالقومية العربية لتكون بديلًا للخلافة العثمانية، وكأنه وجد في اللقاء بين الملكين أملًا لتحقيق حلمه القومي فبرزت ذاته ومشاعره التي لم يظهرها في كثير من قصائده الأخرى.

وختمت القصيدة ببيتين يتضمنان خطابًا موجهًا للملكين الممدوحَين يحاكي الخطاب في الجزء الافتتاحي للقصيدة. ويتكرر أسلوب النداء بالياء في البيت 34 مع اختلاف المنادى بطريقة تؤسس لثنائية تميّز بين الملكين في النداء الثاني (البيتين 34-35) وبقية القادة العرب الذين وجه لهم النداء الأول (الأبيات 30-33). وتتكرر صيغة الإنشاء الطلبي في جواب النداءين: الأول (الاستفهام في البيت 32) والآخر (الدعاء في البيت 35). فالمنادى الأول (رؤساء العرب) بعيد رغم قربه النفسي أما المنادى الآخر (الملكين) فحاضر قريب من الشاعر، ويوجه الاستفهام في البيت 32 للمنادى الأول في حين يستأثر المنادى الآخر بالدعاء في خاتمة القصيدة.

ويختم الشاعر قصيدته بتكرار صيغة الإنشاء الطلبي من خلال الدعاء للملكين بالعمر المديد، وأن يستمرا على النهج الذي جعل الأمتين العربية والإسلامية تفخر بهما، مستخدمًا الفعلين "عيشا وزيدا" اللذين يتضمنان معنى النماء والعطاء. ويكرر الشاعر في البيتين الأخيرين صيغة المثنى التي افتتح بها القصيدة؛ ليؤكد صحة منهج الملكين في قيادة الأمة للمستقبل المشرق. كما يحاكي الشاعر أسلوب المدح التقليدي في تأكيد مكانة الممدوح ومصدرها الإلهي، فقد اختار الله الملكين لحكم بلديهما، وينسجم الفعل "آتى" مع فكرة العطاء الإلهي كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ (آل عمران، 26). فقد اختار الله الملكين كما اختار غيرهما من ملوك العرب المشار إليهم في البيت 30، وتتماشى فكرة التعدد في الاختيار الإلهي مع رؤية الشاعر للأوطان العربية التي عبر عنها بقوله "فَمَا العُروبَةُ إِلَّا شَمْلُ أَوْطَانِ" (البيت 2).

وهكذا، تعكس نونية خليل مطران بصورة عامة وقسمها الأخير بشكل خاص طبيعة العلاقة بين الشاعر المادح والملكين الممدوحين. فالشاعر يحمل رسالة تقدير واحترام من الشعب العربي لقادته، وليس شاعرًا مادحًا يتكسب بشعره. وإذا كانت العلاقة بين المادح والممدوح في قصيدة المدح القديمة تقوم على

ما وصفته ستيتكيفيتش بـ"طقوس تبادل الهدايا" (Gift Exchange)؛ حيث يقدم الشاعر هدية إلى الممدوح تتمثل في قصيدة المدح، ويحصل في المقابل على هدية مادية تقرّب الشاعر من الممدوح (returned gift) (ستيتكيفيتش، 2010، 106)، فإن سيرة الشاعر خليل مطران التي تؤكد إيمانه والتزامه الشخصي بالقضايا العربية، والتحولات التي شهدتها الثقافة العربية في القرن العشرين تجاه ذم التكسب بالشعر، والطبيعة الثنائية للمدح (dual praise) الموجه لملكين في القصيدة تدفع الشاعر للتصريح بالتنازل عن رغبته في الجائزة واكتفائه بجائزة لقاء الملكين التي يعجز عن شكرها.

الخاتمة:

تُعد قصيدة "عيد تجدد فيه مجد عدنان" لخليل مطران نموذجًا يبرز التفاعل بين سياق النص وسياق الحدث؛ حيث يلعب السياق دورًا مؤثرًا في شكل القصيدة ومضمونها. ومن خلال تحليل خطاب المدح في القصيدة التي أُلقيت في قصر عابدين بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز آل سعود للملك فاروق عام 1946، يظهر تمكن خليل مطران من دمج العناصر التقليدية بمعانٍ حديثة في سياق مختلف عن سياقات قصيدة المدح القديمة. ويستعرض البحث كيفية استخدام الشاعر استراتيجيات لغوية وبلاغية لمدح الملك عبد العزيز بحضور الملك فاروق؛ مما يكشف عن طبيعة العلاقة الديناميكية بين الشاعر والممدوح. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المهمة:

1- استخدم الشاعر مطران في قصيدته استراتيجيات لغوية وبلاغية فعالة لمدح الملك عبد العزيز ووصف إنجازاته الوطنية والقومية مع مراعاة مكانة الملك فاروق.

2- تعد العلاقة الحديثة بين الشاعر والممدوح في قصيدة المدح أكثر تعقيدًا في أبعادها الفكرية والثقافية من نظيرتها في القصيدة القديمة المبنية –في الغالب– على فكرة تقديم الشاعر لقصيدة المدح مقابل المال والجاه.

3- دمج مطران بين القديم والجديد في قصيدته التي احتوت عناصر تقليدية مع معان حديثة، مما يسهم في تطور الشعر العربي وفق الرؤية الإحيائية التي يتبناها الشاعر.

4- لم يلجأ الشاعر إلى البنى التقليدية لقصائد المدح، بل ابتكر بنية جديدة تعكس رؤيته؛ مما يعكس التحديات التي واجهها في مدح الملك عبد العزيز بحضور الملك فاروق.

توصي الدراسة بإجراء مزيد من الأبحاث حول تأثير السياقات الثقافية على الشعر العربي، مع التركيز على تأثيرها في بنية القصائد ومحتواها. كما يُوصى بتوسيع الدراسات لتشمل نصوصًا شعرية من فترات تاريخية متنوعة لفهم التغيرات في أساليب المدح. يضاف إلى ذلك تطوير منهجيات تحليلية جديدة تجمع بين الأساليب التقليدية والمناهج الحديثة لدراسة الشعر وتعزز البحث في العلاقات الثقافية والاجتماعية المؤثرة على الكتابة الشعرية وتفاعل الشعراء مع السياق المعاصر. وأخيرًا، يُوصى بتأصيل المفاهيم المتعلقة بالهوية القومية في الأدب العربي واستكشاف تجسيدها في النصوص الشعرية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. (1900م). ديوان أبي تمام الطائي. شرح: محيي الدين الخياط. القاهرة: نظارة المعارف العمومية.
- أبو شادي، أحمد زكي. (2022). قضايا الشعر المعاصر. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- ابن الأثير، علي بن محمد. (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر. (1994م). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق: عبد الله المحارب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- البصري، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. (2017). الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- البغدادي، قدامة بن جعفر. (د.ت). نقد الشعر. الطبعة الأولى، قسطنطينية: مطبعة الجوائب.
- براون، ج.ب.، ج. بول. (1997). تحليل الخطاب. ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطنى ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (2011). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- حسين، طه. (2021). تقليد وتجديد. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- الحنبلي، راشد بن علي. (1999). مثير الوجد في أنساب ملوك نجد. القاهرة: دارة الملك عبد العزيز.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- خليل مطران. (1949). ديوان الخليل. مصر: مطبعة دار الهلال.
- الذبياني، النابغة. (2016). ديوان النابغة الذبياني. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان.
- رشيد، كمال عبد الرحيم. (2008). الزمن النحوي في اللغة العربية. الأردن: عالم الثقافة للنشر والتوزيع.
- رفاعي، محمد علي. (1977م). رجال ومواقف. الطبعة الأولى. القاهرة: مطابع دار الشعب.

- الزبيدي، محمد بن محمد. (د.ت). شرح القاموس المسمى تاج العروس: من جواهر القاموس. القاهرة: المطبعة الخيرية.
- زمل، ناصر بن محمد. (2005). موسوعة أحداث القرن العشرين. الرياض: مكتبة العبيكان.
- الزهاوي، محمد خالد. (2024). القاعدة النحوية في ضوء علم المعاني: ضوابط وتحليل. الرياض: مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية.
- ستيتكيفيتش، سوزان بينكني. (2010). القصيدة والسلطة: الأسطورة، الجنوسة، والمراسيم في القصيدة العربية الكلاسيكية. ترجمة: حسن البنا. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- سركيس، سليم. (1908). "ديوان خليل مطران." مجلة سركيس.
- الصعيدي، عبد المتعال. (1969). بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. القاهرة: مكتبة الآداب.
- عبد الناصر، جمال. (1964). الاستعمار: من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر. القاهرة: مصلحة الاستعلامات.
- عبيد، مصطفى. (2018). هوامش التاريخ: من دفاتر مصر المنسية. القاهرة: الرواق للنشر والتوزيع.
- عبيدي، مينة. (2016). التحليل النقدي للخطاب: نماذج من الخطاب الإعلامي. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.
- العثيمين، عبد الله الصالح. (2018).تاريخ المملكة العربية السعودية. الرياض: العبيكان للنشر.
- ابن عثيمين، محمد. العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين. شرح: ابن رويشد، سعد. دار المعارف، القاهرة.
- عزاوي، عباس. (2003). تأريخ الفيلية: مخطوطة المرحوم المحامي عباس العزاوي. تحقيق: حسين أحمد علي الجاف. القاهرة: مطبعة المجمع العلمي.
- العسكري، أبو هلال. (1994). ديوان المعاني. شرح: أحمد حسن بسج. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- عصفور، جابر. (2009). في محبة الشعر. الدار المصرية اللبنانية.
- عويضة، كامل محمد. خليل مطران شاعر القطرين. بيروت: دار الكتب العلمية.

- فيركلف، نورمان. (2015). الخطاب والتغير الاجتماعي. ترجمة: محمد عناني. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. (2005). إشراف: محمد نعيم العرقسوسي؛ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن القَطَّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي. (1983م). كتاب الأفعال. الطبعة الأولى. بيروت: عالم الكتب.
- القيرواني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تح. محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة. دار الجيل.
- ابن كثير الدمشقي، أبي الفداء إسماعيل بن عمر. (2011). السيرة النبوية. المحرر: محمود عمر الدمياطي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (1994). المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة: وزارة الأوقاف.
- مندور، محمد. (2021م). محاضرات عن خليل مطران. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- ياغي، إسماعيل أحمد. (2002). موقف الملك عبد العزيز من قضية فلسطين. الرياض: مكتبة العبيكان.

- Abū Tammām, Ḥabīb bin ’Aws al- Ṭā’ī. (1900). Diwān Abū Tammām al- Ṭā’ī. Sharḥ: Muḥyy al-Dīyn al-Khayāṭ. Al-Qāhira: Niẓārt al-Mʿārf al-‘Umumīya.

- Abū Shādī, Aḥmad Zakī. (2022). Qḍāyā al-Shiʿr al-Muʿāṣr. Al-Qāhira: Maktabat Hindawī.

- Ibn al-’Athīr, ‘Alī bin Muḥammad. (n.d.). Al-Mathal al-Sā’ir fī ’Adab al-Kātib wa al-Shā‘ir. Taḥqīq: Aḥmad al-Ḥufī wa Badawī Tabāna. Al-Qāhira: Dār Nahḍat Miṣr lil-Ṭibā‘a wal-Nashr wal-Tawzī‘.

- Al-’Āmidī, Abū al-Qāsim al-Ḥassan bin Bishr. (1994). Al-Muwāzana bayna Shi‘r Abū Tammām wa al-Buḥturī. Taḥqīq: ‘Abdullah al-Muḥārib. Al-Qāhira: Maktabat al-Khānjī.

- Brāwn, J.B., J. Pawl. (1997). Taḥlīl al-Khiṭāb. Tarjamat wa ta‘līq: Muhammad Luṭfī al-Zulayṭnī wa Munīr al-Trayykī. Al-Riyādh: Al-Jāmi‘at al-Malik Saʿūd.

- Al-Baṣrī, Abū al-Ḥasan ‘Alī bin Muḥammad al-Mawārdī. (2017). Al-Ḥawī al-Kabīr fi Fiqh Madhhab al-Imām al-Shafi‘ī. Al-Qāhira: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyya.

- Al-Baghdādī, Qudāma bin Ja‘far. (n.d.). Naqd al-Shi‘r. Al-Ṭaba‘a al-’Ūlā, Quṣṭanṭinīyya: Maṭba‘at al-Jawa’ib.

- Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Ddīn Abū al-Faraj ‘Abdul Raḥmmān. (2011). Al-Muntaẓim fī Tarīkh al-Mulūk wal-Umam. Al-Qāhira: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyya.

- Ibn Jarīs, Rāshid bin ‘Alī al-Ḥanbalī. (1999). Muthīr al-Wajd fī ’Ansāb Mulūk Najd. Al-Qāhira: Dārat al-Malik ‘Abdul ‘Azīz.

- Ḥusayn, Ṭāha. (2021). Taqlīd wa Tajdīd. Al-Qāhira: Maktabat Hindawī.

- Ibn Khaldūn, ‘Abdul Raḥmmān. (2000). Diwān al-Mubtada’ wa al-Khabar fī Tārīkh al-‘Arab wa al-Barbar wa Man ‘Āṣarahum min Dhawī al-Sh’an al-’Akbar. Bayrūt: Dār al-Fikr lil- Ṭibā‘a wa-al-Nashr wa al-Tawzī‘.

- Khalīl Muṭrān. (1949). Dīwān Al-Khalīl. Miṣr: Maṭba‘at Dār Al-Hilāl.

- Al-Dhubyānī, al-Nābigha. (2016). Diwān al-Nābigha al-Dhubyānī. Bayrūt: Dār al-’Arqam bin ’Abī al-’Arqam.

- Rashīd, Kamal Abdul-Raḥīm. (2008). Al-Zaman Al-Naḥwī fi Al-Lugha Al-Arabīya. Al-Urdun: ‘Ālam Al-Thaqāfa Lil-Nashr wa Al-Tawzī’.

- Rifā‘ī, Muḥammad ‘Alī. (1977). Rijāl wa Mawāqif. Al-Ṭaba‘a al-’Ūlā, Al-Qāhira: Matabi' Dār al-Sha'ab.

- Zumal, Nāṣṣir bin Muḥammad. (2005). Mawsū‘at ’Aḥdāth al-Qarn al-‘Ishrīn. Riyāḍ: Maktabat al-‘Ubaykān.

- Al-Zahāwī, Muhammad Khalid. (2024). Al-Qā‘ida Al-Nahwīya fī Ḍaw' ‘Ilm Al-Ma‘ānī: Ḍawābiṭ wa Taḥlīl. Riyadh: Majma‘ Al-Malik Salmān Al-‘Alamī Lil-Lugha Al-‘Arabīya.

- Sarkīs, Salīm. (1908). "Diwān Khalīl Muṭrān." Majallat Sarkīs.

- Stetkevych, Suzanne. (2010). Al-Qaṣīda wa al-Sulṭa: al-Uṣṭūra, al-Janūsīya, wal-Marāsim fī al-Qaṣīda al-‘Arabīyya al-Klāsīkīya. Tarjamat: Ḥassan al-Banna. Al-Qāhira: Al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjama.

- Abdul Nāṣṣir, Gamāl. (1964). Al-Isti'mār: min 'Aqwāl al-Ra'īs Gamāl 'Abdul Nāṣṣir. Al-Qāhira: Maṣlaḥat al-Isti'lāmāt.

- 'Ubayid, Muṣṭafa. (2018). Hawamish al-Tārīkh: min Dafātr Miṣr al-Mansīyya. Al-Qāhira: Al-Rawāq lil-Nashr wa al-Tawzī'.

- 'Ubaydī, Mīna. (2016). Al-Taḥlīl al-Naqdī lil-Khiṭāb: Namādhij min al-Khiṭāb al-'I'lāmī. 'Ammān: Dār Kunūz al-Ma'rifa lil-Nashr wa al-Tawzi',

- Al-'Askarī, Abū Hilāl. (1994). Diwān al-Ma'ānī. Sharḥ: Aḥmad Ḥassan Basj. Al-Qāhira: Dār al-Kutub al-'Ilmīyya.

- 'Azāwī, 'Abbās. (2003). Tā'rīkh al-Failīya: Makhṭuṭat al-Marḥūm al-Muḥamī 'Abbās 'Azāwī. Taḥqīq: Ḥussayin Aḥmad 'Alī al-Jaf. Al-Qāhira: Maṭba'at al-Majma' al-'Ilmī.

- 'Aṣfūr, Jābir. (2009). Fī Maḥabbat al-Shi'r. Al-Dār al-Miṣrīya al-Lubnanīyya.

- Al-'Uthaymīn, Abdullah Al-Ṣalih. (2018). Tārīkh Al-Mamlakah Al-Arabīya Al-Su'ūdīya. Riyadh: 'Ubaykān Publishing.

- Ibn 'Uthaymīn, Muḥammad. (n.d.). Al-'Aqd al-Thamīn min Shi'r Muḥammad bin 'Uthaymīn. Sharḥ: Ibn Ruwayshid, Sa'd. Al-Qāhira: Dār al-Ma'ārif.

- Fairclaf, Norman. (2015). Al-Khiṭāb wa al-Taghayyur al-Ijtimā'ī. Translated by: Muḥammad 'Anānī. Al-Qāhirah: Al-Markaz al-Qawmī li al-Tarjama.

- Al-Fīrūzābādī, Majd al-Dīn Abū Ṭāhir Muḥammad bin Ya'qūb. (2005). Al-Qāmūs al-Muḥīṭ. Supervised by: Muḥammad Na'īm al-'Arqasūsī; Edited by: Maktab Taḥqīq al-Turāth fī Mu'assasat al-Risālah. Beirut: Mu'assasat al-Risālah li-al-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.

- Al-Qayrawānī, Ibn Rashīq. (n.d.). Al-'Umda fī Maḥāsin al-Shi'r wa Ādābih. Taḥqīq: Muḥyīa al-Dīn 'Abdul Ḥamīd. Al-Ṭaba'a al-Khamisa. Bayrūt: Dār al-Jīl.

- Al-Mubarrad, Abū al-'Abbās Muḥammad bin Yazīd. (1994). Al-Muqtḍab. Taḥqīq: Muḥammad Abdul Khāliq 'Aḍīma. Al-Qāhira: Wazārat al-Awqāf.

- Mandūr, Muḥammad. (2021). Muḥāḍarāt Khalīl Muṭrān. Al-Qāhira: Maktabat Hindawī.

- Yāghī, ’Ismā‘Īl Aḥmad. (2002). Mawāqif al-Malik ‘Abdul ‘Azīz min Qaḍiyyat Filiṣṭiīn. Riyāḍ: Maktabat al-‘Ubaykān.

المراجع الأجنبية:

- Finnegan, Ruth. *Oral Traditions and the Verbal Arts: A Guide to Research Practices*. United Kingdom, Taylor & Francis, 2003.

- Lakoff, George. “The Contemporary Theory of Metaphor.” In *Metaphor and Thought*, ed. Andrew Ortony. Cambridge: Cambridge University Press, 1993.

- BinMayaba, Mustafa. "From Expulsion to Readmission: Ibn Abī Ḥafṣa's Rhetorical Technique at the ʿAbbāsid Court." *JAIS* 15 (2015): 93-116: 98.

- Suzanne. Stetkevych. *The Mute Immortals Speak*, 258. Theodor H. Gaster. *Thespis: Ritual, Myth, and Drama in the Ancient Near East*. New York: Gordian Press, 1975. p. 23.

- Van Dijk, Teun A. "What is Political Discourse Analysis." *Belgian Journal of Linguistics* 11.1 (1997): 11-52: 14.